

لكل مرحلة طريقة في التعامل



يجب أن نستوعب جميـعاً - وهذا أمر مهم جدّاً - أن عقول الأبناء تتطور وتكبر على قدر المعلومات والخبرات التي تضاف لهم بمرور الأيام والشهور في حياـتهم، وما في قلوبهم أيضاً يتغير بمرور الزمن، من اهتمامات وهوايات ومحاب ومكاره وغيرها، وهذا ينـتج عنه تغيـر في شخصيات الأبناء وبالتالي يطلبون نوعية جديدة في التعامل معهم على خـلاف التعامل القديـم، فـهـذه سـُـنة كونـية فالـماء السـاـكن يفسـدـ، كما أنـ التعـامل السـاـكن الـذـي لا يـتـطـور ولا يـتـغـير يـفـسـدـ، والنـتيـجة هي عدم تقبـلـ من حولـنا لـهـذا التعـاملـ.

عملية التربية كعملية الطبخ!

فهمـا يتـشـاـ بهـانـ كـثـيرـاً لأنـ لـكـلـ فـتـرةـ فيـ التـرـبـيـةـ وـالـطـبـخـ خطـوـاتـهاـ وـعـمـلـهـاـ، فـلـوـ وـضـعـنـاـ كـلـ شـيـءـ فيـ وقتـ وـاحـدـ فـسـدـ التـرـبـيـةـ كـماـ تـفـسـدـ الطـبـخـ، فـحتـىـ لاـ تـفـسـدـ عـلـيـهـ طـبـخـ عـقـولـ وـقـلـوبـ أـبـنـائـكـ، أـقـدـمـ لـكـ أـيـهـاـ المـرـبـيـ هـذـهـ الجـداـولـ التـلـاثـةـ الـتـيـ سـتـوضـحـ لـكـ مـاـ هـيـ حـاجـاتـ كـلـ مـرـحـلـةـ فـيـ الجـدوـلـ رقمـ (1)، وـأـفـضلـ المـوـاضـيـعـ الـتـيـ تـرـبـيـ عـلـيـهـاـ فـيـ كـلـ مـرـحـلـةـ فـيـ الجـدوـلـ رقمـ (2)، وـأـخـيرـاًـ الـوـسـائـلـ الـتـيـ تـنـفـعـ لـكـلـ مـرـحـلـةـ فـيـ الجـدوـلـ رقمـ (3)ـ:

المرحلة الموضوع

الحالات المهمة

مرحلة الطفولة

الحب والحنان - القرب منه - الكلمات التشجيعية - حواجز مادية - تفريغ طاقته الهائلة بشيء نافع - حاجته للعب والترفيه - العفوية والحيوية.

مرحلة الصبا

أن يعرف حقوقه وواجباته - إحتواوه والقرب منه عند تعرضه للمشاكل - تشجيعه الدائم عند أي تصرف إيجابي - حاجته للفرح والسرور - الإنطلاق - الإبداع.

مرحلة المراهقة

الحوار معه - حرية الاختيار - إشراكه في القرارات - معاملته كرجل/ كما مرأة - عدم التضييق عليه - تقديره واحترامه - أن ثق به - الإنصات له - الثناء على إنجازاته - شعوره بالأمن في محيطه - يجب أن يتعرف على محيط اجتماعي جديد دائمًا - حاجته للضحك - عدم انتقاده - عدم انتقامه - حاجته للتغلب برمز.

المرحلة الموضوع

المواضيع التي يُربى عليها

مرحلة الطفولة

الأخلاق الحميدة (التركيز على فضيلة الصدق) - تعليمه وترغيبه بالصلة والصيام - الأدب مع الله والناس - حفظ القرآن الكريم - بر الوالدين - الآداب الاجتماعية "أدب الطعام/ أدب الحديث/ أدب المجالس...".

مرحلة الصبا

تقوى الله ومرآقبته في السر والعلن - تعليمه تاريخ المسلمين - حثه على القراءة وحب المعرفة - حفظ القرآن الكريم - الأخوة والترابط الاجتماعي مع الأصحاب - إستثمار الوقت.

مرحلة المراهقة

الجوانب الإيمانية والعلاقة الصحيحة مع الله تعالى - العلم الشرعي - غرس قيمة العمل التطوعي فيه - حب الخير للناس - تدريبيه على مهارات الحياة والسلوك والتفكير - ممارسة هواية - التخصص في مجال محمد د.

المرحلة الموضوع

الوسائل الصحيحة والمناسبة في التعامل

مرحلة الطفولة

عن طريق سرد القصص المهدّفة - أن تكون قدوة له - الحوار معه في مواضيع مفيدة - عرض المصور الهداف علىه والتفاعل معه عن طريق الأسئلة عليها - المشاهد التربوية الهداف.

مرحلة الصبا

التوجيه المباشر اللطيف - حتى على اكتشاف القيم بنفسه عن طريق البحث - توجيهه لصحبة صالحة - ضرب الأمثلة والتشبّيّه له - الإقناع العاطفي.

مرحلة المراهقة

تربّيته على تحمل مسؤولية حياته بنفسه - إشراكه في القرارات المهمة التي تخصه وكذلك التي لا تخصه - أن تكون نموذجاً صالحاً له - التربية الهداف بعيداً عن الإنفعال - ملء وقت فراغه بما هو نافع له - الحوار الدائم والهادف معه - الإقناع العقلي.

بعد عرض الجداول السابقة وما تحمله من معلومات مهمة، يجب الآن أن أوضح أمراً لا يقل أهمية عما تم عرضه، وهو متى تبدأ هذه المراحل ومتى تنتهي:

-1 سن الطفولة:

هي المرحلة ما بين فترة الرضاعة إلى مرحلة الصّبا، أي تبدأ من ولادة الطفل إلى عمر 7 سنوات.

-2 سن الصبا:

وتبدأ من عمر 8 سنوات إلى فترة المراهقة بعمر 12 سنة.

-3 سن المراهقة:

وهي مرحلة ما قبل البلوغ تبدأ عند سن 12 وتنتهي في 17 سنة، وهنا توجد جزئية مهمة كثيرةً ما يعتقد الآباء أن فترة المراهقة تقع في فترة البلوغ وهذا خطأ شائع، بل "المراهقة مرحلة تسبيق البلوغ وليس هي مرحلة البلوغ" كما يقول محمد قطب، وأشار إليها المختصون في مجال التربية، فهذه معلومة تترتب عليها أمور عديدة عند التعامل مع هذه الفئة ويجب حينئذ العناية بها.

-4 سن الرشد:

هنا تبدأ مرحلة ما بعد البلوغ وهي مرحلة التكليف الشرعي الإلهي، فيكون الإنسان في هذه الفترة محاسباً أمام الله بكل صغيرة وكبيرة قوله تعالى: "كانت أو فعلاً".

هرم ماسلو للاحتياجات:

بما أنني تطرق للحديث عن احتياجات كل مرحلة، فلزاماً على الآن أن أذكر هرم ماسلو للاحتياجات التي ابتكرها عالم النفس الأمريكي إبراهام ماسلو لما فيها من أهمية كبيرة للتعرف عليها وتطبيقها أثناء تربيتنا لمن هم حولنا والتي تتلخص في الآتي:

الابتكار

حل المشاكل

تقبل الحقائق

تقدير الذات- الثقة- الإنجازات

احترام الآخرين- الاحترام من قبل الآخرين

الصداقـة- العلاقات الأسرية- الألفة الجنسية

السلامـة الجسدـية- الأمان الوظيفـي- أمن الموارـد

الأمن الأسري والصحي- أمن الممتلكـات

التنفس- الطعام- الماء- النوم- الجنس- التوازن- الإخراج

من المعروف أن حاجات الإنسان تتغير من مرحلة إلى أخرى، وقد أثبت ماسلو في نظريته النفسية أن الحاجات تنطوي وتكبر كما هو موضح أعلاه، فالإنسان في بداية مراحل حياته يحتاج للجوانب الفسيولوجية المتمثلة في أسباب العيش، وهي الهواء والطعام والشراب والنوم... ثم تتطور وتكبر إلى حاجة الأمان ثم إلى حاجة تكوين الصداقات والانتماء، موراً إلى حاجة تقدير ذاته والإعتراف به، وأخيراً حاجة تحقيق ذاته وإثباتها عبر السير في حياته بالطريقة التي يحبها ويبدع فيها.

هذه الحاجات التي ذكرها ماسلو تكون توترةً كبيراً وسلبية في حالة عدم إشباعها في ذات المربـي، فيبدأ حينها بالخروج عن طبيعته التوازنـية إلى افتعـال وابتـكار المشـاكل التي تعـيقه وتعـيق من حولـه، فـلو رـكـنـا كـمرـبـين عـلـى إـشـبـاع مـنـحـوـنـا عـلـى هـذـه الـاحتـياـجـات سـنـجـد تـطـورـاً كـبـيراً فيـشـخصـيتـهم وـسـهـولةـأـكـبـرـ فـيـالـتـعـاملـمـعـهـمـ.

وأنت أيها المـربـي، لـست بـحاجـة لـلـتـعـامل مـع هـذـه النـظـرـيـة بـالـتـدـريـجـ، بـحـيث تـبـدـأ بـالـحـاجـةـ الـأـولـىـ ثـمـ تـنـتـقـلـ لـلـثـانـيـةـ وـالـثـالـثـةـ وـهـلـمـ جـراـ، لأنـ هـذـهـ الطـرـيـقـةـ هـيـ مـنـ الـانتـقـادـاتـ الـتـيـ وجـهـتـ لـلـنـظـرـيـةـ، فـالـإـنـسـانـ ربـماـ يـحـتـاجـ إـلـىـ إـشـبـاعـ أـكـثـرـ مـنـ حـاجـةـ فـيـ نـفـسـ الـوقـتـ أـوـ رـبـماـ يـحـتـاجـ أـنـ يـعـيـدـ إـشـبـاعـ حـاجـةـ قـدـ قـامـ

بإشباعها خلال مراحل زمنية سابقة، فلا أؤيد الجمود الذي وضعه ماسلو بل أدعو إلى المرونة والاتزان بين هذه الحاجات بطريقة تفاعلية حتى لو كانت متزامنة، والمهم لدى أن نركّز كمربين عليها وإشاعر الأبناء منها.

فهم المراهق، أولى مراحل احتوايه:

كتبت قبل فترة مجموعة تغريدات في برنامج التواصل الاجتماعي (التوتير) عن شخصية المراهقة وقد لاقت بعض التفاعل من المتابعين الكرام، فأحببت أن أخصص محوراً كاماً أتحدث فيه عن هذه المرحلة لأن موضوعها مهم وشائك بنظر الكثير من يتعامل مع هذه الفئة المظلومة جدًا برأيي.

وتأتي جزئية كونهم (مظلومين).. عند التعامل المباشر من قبيل المربين وأولياء الأمور معهم دون الحاجة لفهم هذه الشخصية ومعرفة حاجاتها الأساسية التي لا ينصلح حالهم إلا بها، فتكون طريقة التعامل معهم على أدوات تربوية تقيد السلوك والفكر والمشاعر مثل (التوجه الصارم - المراقبة الدائمة - الأوامر - النصائح المتكررة) وغيرها من الأدوات التي لا تنفع مع شخصية المراهق.

وكما هو العنوان، فإن فهم شخصيته هي أولى خطوات احتوايه واستيعاب مشاكله، فشخصية المراهق أشبه بالآلة شديدة التعقيد في الاستعمال، فلا يمكنك مجاراتها في التعامل إلا بعد قراءة و(فهم) طريقة استخدامها، فمن دون هذه الخطوة سيكون عملك أقرب إلى تخريب هذه الآلة، لذلك كانت أولى خطوات التعامل مع المراهق تكمن في (فهمه)، ثمًّا بعد ذلك تأتي خطوة تلبية احتياجاتاته، وستقدر أيها المربى على تلبيتها بعد معرفة الإجابة على هذا السؤال:

هل المراهق طفل، أم شاب ناضج؟

إذا قمت بالإجابة عن هذا السؤال إجابةً علميةً صحيحةً فإنك ومن دون مبالغة قد اجتزت مسافة كبيرة في سبيل احتواء هذه الشخصية المظلومة وتشخيص شخصيتها.

ليس المراهق طفلاً ولا شاباً ناضجاً، لكنه بمرحلة ما بين هاتين المرحلتين، والإضافة العلمية هنا أن للطفل احتياجات أساسية ونفس الشيء مع الشاب الناضج، والمراهق يحتاج لمميزات المرحلتين (الطفولة والشباب) فعندما يتم التعامل معه من قبيل المربين وأولياء الأمور فهو يريد من الطفولة حاجات (الحنان - العطف - الحب الرعائية - المراهق) ويحتاج من الشباب حاجات (مساحة لإدارة حياته - المشاركة في قرارات كبرى تخص الأسرة - تحمله المسؤولية - الحوار معه) وبالإضافة إلى ذلك، هو لا يحتاج للرقابة والتوجيه الدائمين وكثرة النصائح بل يريد من يرعاه أن يعامله كرجل/ امرأة، وهذا مطلب يجب أن يعيه المربى، وأن يعرف كذلك أنَّ المراهق مازال يحتاج إلى حاجات الطفل وعدم إهمالها، والفاصل هنا أن كلَّ شيء قائم على التوازن (لا إفراط ولا تفريط) طريقه النجاح بعد توفيق الله تبارك وتعالى.

في الطريق للبيت الجديد!

أرى مرحلة المراهقة كمن باع بيته القديم وشتري بيته جديداً، وهو في طريقه من بيته القديم إلى الجديد تجد شعوره ما بين حنينه وحبه للمنزل القديم ورغبته وحماسه للبيت الجديد، وهذا ينطبق على المراهق، فهو في مرحلة عبور من المنزل القديم (الطفولة) إلى المنزل الجديد (الشباب) فتجده أذله يحتاج لميزة المرحلتين، كما هو شعور هذا الشخص المنتقل من منزل آخر.

كثير من المربين يجدون صعوبة بالغة في التعامل مع فئة المراهقين، وتكثر شكاوهم على من هم في هذه المرحلة بسبب كثرة مشاكلهم التي لا حصر لها، وكذلك عدم توفر طريقة مثالية لمعالجة هذه المشاكل

التي يمرون بها (على حد قولهم)، وبهذه التهمة من المربين أتذكر سؤالاً جميلاً للأستاذ عبدالطارق يسأله للمربين:

أزمة الهوية.. أم تأزيم المجتمع؟

سؤال مهم يحتاج منا الوقوف قليلاً والتفكير فيه، فهل مشاكل المراهقين الكثيرة دليل على مشكلة واضطراب هويتهم؟ أم أنّ السبب في ذلك تأزيم المجتمع لهم وسوء التعامل معهم؟ وإذا ما افترضنا أنّ المشكلة تكمن في المراهق وليس المجتمع فما هو السبب الذي جعله يسلك طريق المشاكل والمصائب؟ فلو فكرنا بمنطق في هذه الأسئلة لوجدنا أنّ المشكلة الأساسية تكمن في طريقة تعامل المجتمع والمربين مع المراهقين (المظلومين) كما أسمّيهم.

وال المشكلة الأساسية في هذه الجزئية أنّ المربى لم يُحسن تطبيق هذه القطعة (لكل مرحلة طريقة في التعامل) فنجد المراهق معاملة الطفل، لأنّه لا يعرف إلا طريقة واحدة في التعامل مع المتربيين وهي معاملتهم كأطفال، رغم أن حاجات وخصائص المراهقين (الطفولة والمراهقة) تختلف كليةً عن بعضها البعض، فغالباً ما يُقارن بين سهولة تربيته للطفل وصعوبة تربية المراهق! وهنا الظلم في المقارنة، فسهولة تربية الطفل تأتي بسبب قصور الفهم والتجربة لديه، وسعتها وكبر حجمها بالنسبة للمراهق، فهذا الأخير والتجربة لديه، وسعتها وكبر حجمها بالنسبة للمراهق، فهذا الأخير لا يتقبل الجديد والصحيح بسهولة بمثل حالة الطفل، ولأنّ الأسلوب المتبعة لدى بعض المربين هو أسلوب الأمر والإلزام والذي لا ينفع أبداً مع المراهق، أنت صعوبة التعامل معهم وكثرة مشاكلهم.

الآن، سأوضح لك أيها المربى على شكل نقاط متسلسلة ومبسطة: كيف تتعامل مع المراهق بطريقة عصرية تُعجبه ولا تضره:

- 1. عليك في البداية أن تفهم المراهق عن طريق تعرّفه على حاجاته النفسية وأن تتعامل معه من خلالها، وقد كتبت جزء منها في (القطعة الخامسة).
- 2. كثير من المراهقين يعتمدون في تفكيرهم وسلوكهم على ردّة الفعل على الفعل المقابل أمامه، لذلك أصلح فعلك معه ينصلح رد فعله.
- 3. إذا استعملت أسلوب المواجهة معه، فإنّه سيغاريك في الصدام، فالأنسب أن تتغافل عن بعض مشاكلهم وأكثر من الحوار معهم وإعطائهم فرصة للحديث.
- 4. قلل قدر المستطاع من أسلوب الوعظ والندح المباشر معه، واستعاض عنه بأن تكون قدوة ونموذجًا له في الأمور التي هو مقصّر بها.
- 5. ارفع درجة الحب والتقدير معه حتى عندما يكون في أسوأ لحظاته ومشاكله.
- 6. اعطا حقوقه.
- 7. كن صاحباً له.
- 8. لا تشتمه ولا تعذّبه ولا تقطع علاقتك معه وابتعد عن المصراخ عليه.
- 9. اشركه في عملك.. اجتماعاتك المهمة.. هو ياتك.. قراراتك.
- 10. شاركه في اهتماماته.. هو ياته.. امدح أفكاره وآراءه.

تميّز مرحلة (الطفولة) بحب الانتفاء، وتحتاج منك إلى العطف والحنان.

وتميّز مرحلة (المصبا) بحب الاستكشاف، وتحتاج منك أن تسمعهم وتصبر على أسئلتهم، وتعليمهم كل جديد.

وتميّز مرحلة (المراهقة) بحب الاستقلالية، وتحتاج منك إلى إعطائهم الحرية في اختياراتهم وإشراكهم في القرارات، وإعطائهم الفرصة لتكوين علاقات اجتماعية. ▶

المصدر: كتاب المردّي/ كيف نربي في الزمن الحديث؟ (12 قاعدة مبسطة ومبتكرة) لـ عبد المحسن العصفور